



لا أحد يستطيع أن ينكر أبداً أنّ الشباب هم من أشعل فتيل الثورات في كل البلدان العربية النائرة دون استثناء. وأبرز أولئك الشباب طبعاً الشاب محمد بوعزيزي الذي فجّر الثورة التونسية على حكم الطاغية بن علي. وقد شاهدنا الحاج الشهير أحمد الحفناوي وهو يخاطب شباب تونس بجملته "التاريخية" التي انتشرت إعلامياً كانتشار النار في الهشيم: "فرصتكم أيها الشباب التونسي، تستطيعون أن تقدموا لتونس ما لم نقدم لها نحن لأننا هرمننا، هرمننا من أجل هذه اللحظة التاريخية".

وفي مصر ما كان للثورة المصرية العظيمة أن تندلع وتنجح لولا جموع الشباب بالملايين في ساحات مصر وميادينها، وقد أصبح بعض شباب وشابات الثورة أشهر من نار على علم عربياً، فالكل سمع بوائل غنيم الذي أبدع هو ورفاقه في إدارة الثورة عبر مواقع التواصل الاجتماعي؛ كالفيس بوك وتويتر، وكلنا يتذكّر أسماء محفوظ ونواره نجم ابنة الشاعر الناصر أحمد فؤاد نجم وغيرها. ولولا سواعد الشباب الليبي المجاهد لما سقط القذافي. ولا يمكن أن ننسى أبداً شباب الثورة في اليمن حيث كانوا وما زالوا سادة الساحات والميادين التي أطاحت أخيراً بمن يسمى شاويش اليمن علي عبد الله صالح.

وفي سوريا يتصدّر الشاب الثورة من درعا حتى إدلب، وهم من يديرها لوجستياً وإعلامياً. وتفيد التقارير بأنّ عشرات الألوف من اليافاعين يقبعون الآن في السجون والمعتقلات السورية بسبب مشاركتهم النشطة في المظاهرات. ناهيك عن أنّ من يدير صفحات التواصل الاجتماعي ويقود الثورة إعلامياً شباب صغار، وقد أطلق البعض على الثورات العربية اسم "الربيع العربي"، لأن هذا الفصل هو فصل التآلق والنضارة والجمال الذي يتصف به جيل الشباب دون غيره من الأجيال الأخرى.

لكن المثير للسخرية والتهكم في آن معاً؛ أنّ الشباب الذين أنجزوا الثورات العربية يبدوون وكأنهم أكبر الخاسرين، فبدل أن تكون الحكومات والمؤسسات الجديدة التي انبثقت عن الثورات من الجيل الشاب، نجد أنّ الذين مسكوا زمام الأمور بعد سقوط الطواغيت في مصر وتونس وليبيا واليمن هم ليسوا فقط من المسنين بل أيضاً من العجائز الذين يزيد عمر بعضهم عن الثمانين عاماً، كما كان الحال مع رئيس الوزراء التونسي قائد السبسي، الذي تم اختياره للمنصب خلفاً لمحمد الغنوشي رئيس الوزراء في عهد بن علي. وقد بدأ تعيين السبسي وقتها وكأنه بمثابة استفزاز أو انقلاب على الثورة الشبابية. والمضحك في الأمر أنّ السبسي لم يكن من حقبة زين العابدين بن علي المخلوع، بل من الحقبة التي سبقته ألا وهي حقبة الحبيب بورقيبة. هل يعقل أن يؤتى بأشخاص من الحقبة التي أوصلت الشعب التونسي إلى ما هو عليه من يؤس وديكتاتورية وجعلته يثور على جلالديه؟ لا تريب أبداً على اختيار المناضل الكبير منصف المرزوقي رئيساً للجمهورية، أو مناضلي حزب النهضة لتولي مناصب قيادية، فهم جاؤوا بمباركة شعبية عبر صناديق الاقتراع، وهم من الشخصيات التاريخية التي لعبت دوراً كبيراً في اقتلاع الطغيان وتثوير الجيل الشاب على الواقع المزري في البلاد.

لكن العيب يكمن في بلد عربي آخر ألا وهو مصر، حيث تم قبل أيام فقط اختيار شخص من حقبة مبارك الفاسدة في مصر

ألا وهو كمال الجنزوري لمنصب رئاسة الوزراء، كما لو أنّ المجلس العسكري يحاول أيضاً الاستهانة بثورة الشباب وازدراءها. والمضحك في الأمر أنّ الوزارة الجديدة التي جاءت بعد سلسلة من المظاهرات المليونية الشبابية المتكررة لم تشرك الشباب في صفوفها، فأوكلت معظم الوزارات إلى أشخاص أكل عليهم الدهر وشرب، ولم يساهموا أبداً في إنجاز الثورة. ولا شك أنّ الكثيرين ضحكوا عندما سمعوا الجنزوري يعلن أنّه عين أحد الشبان وكلياً لوزارة الرياضة والشباب، لا يا شيخ، كان ناقصاً أن تعين في تلك الوزارة واحداً من ديناصورات حقبة الملك فاروق! وقد علّق الشاب المصري على هذه الوزارة العجوز بطريقته الظريفة المعروفة عندما قال: "أتعرفون لماذا لم يعينوا الستيني محمد البرادعي رئيساً للوزراء؟ لأنّه ما زال صغفن، يعني ربما يحصل على المنصب عندما يتجاوز الثمانين من العمر".

وفي ليبيا واضح تماماً أنّ كل الذين تولوا مقاليد الأمور بعد الثورة هم من العهود القديمة، وبعضهم أمضى حياته خارج البلاد، مما جعل شباب الثورة الذي لولاه لما نجحت الثورة أصلاً يثور ثانية لإيجاد محط قدم له في النظام الجديد. وقد شاهدنا كيف اضطر رئيس الوزراء الليبي الجديد إلى الرضوخ لمطالب الثوار الشباب واستيعابهم في وزارتي الدفاع والداخلية.

ولا يختلف الأمر في اليمن، حيث تم تهميش شباب الثورة في المبادرة الخليجية التي لم تكن أكثر من تقاسم لمغانم الثورة الشبابية بين حزب الرئيس المخلوع وبعض أحزاب المعارضة المزمّنة ووجهاء القبائل. وقد ظهر التهميش بجلاء في حكومة ياسنودة المنبثقة عن المبادرة، علماً أنّ العالم أجمع يعترف بأنّ الثورة اليمنية أنجزها شباب الساحات والميادين اليمنية ببسالتهم وعنفوانهم، بدليل منح جائزة نوبل العالمية لإحدى ناشطات الثورة الشابة الشهيرة توكل كارمان.

صحيح أنّ الثورة السورية لم تحسم بعد، لكن الذين يتصدّرون ما يسمى بالمجلس الوطني السوري معظمهم من ديناصورات المعارضة المزمّنة، وبدلاً من تطعيم المجلس ببعض الوجوه الشابة التي تواجه الرصاص بصدور عارية، تم استبعاد الناشط الشاب محمد العبد الله من عضوية المجلس، حيث كان من المفترض أن يكون متحدثاً باسمه.

أيها الشباب العربي، يا من أنجزتم الثورات وحررتم أولئك الديناصورات الذين يتزعمون الحكومات الجديدة من الطغيان والعبودية، لا تقبلوا إلا أن يكون لكم نصيب الأسد في الأنظمة الجديدة، فأنتم سادة العالم الجديد. كيف تقبلون أن يقودكم معارضون هرمون لا يعرفون كيف يستخدمون الكمبيوتر، وربما لا يعرفون حتى فتح حساب فيس بوك على الانترنت، بينما أنتم من أدركتم الثورات وأنجحتموها ببراعتكم وحذاقتكم الالكترونية الرائعة؟ صحيح أنّ "الدمس في العتاق" كما يقول المثل، لكن الثورات ثوراتكم والمستقبل مستقبلكم، فلا تتركوها للديناصورات، ولا تنسوا كلمات الحفناوي الشهيرة آفة الذكر: "تستطيعون أيها الشباب أن تقدموا لبلدانكم ما لم نقدم لها نحن هرمنا، هرمنا..".

المصدر: سوريّتنا ستبقى ويفنون

المصادر: